الرِّسَالَةُ الوُجُودِيَّةُ

في معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم:
«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»

ويليه
شجون المسجون وفنون المفتون

ويليه
تهذيب الأخلاق

ويليه
مراتب علوم الوهب

ويليه
رسالة اللمعة
الموسومة بـ «كشف الغطا عن إخوان الصفا»

ويليه
رسالة في أسرار الذات الإلهية

ويليه
نسخة الحق

ويليه
رسالة كشف الستر لأهل السر

ويليه
رسالة الوقت والآن

ويليه
رسالة المعلوم من عقائد أهل الرسوم

ويليه
رسالة الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني

كلها تأليف
الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد
ابن عربي الحاتمي
المتوفى ٦٣٨ هـ

اعتنى بها
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي



منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه ثقتي وعليه اعتمادي.

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، **في معنى قول النبي ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»**[1]، الحمد لله الذي لم يكن قبل وحدانيته قبل إلاّ والقبل هو، ولم يكن بعد فردانيته بعد إلاّ والبعد هو، كان ولا بعد معه ولا قبل، ولا فوق ولا تحت، ولا قرب ولا بعد، ولا كيف ولا أين، ولا حين ولا أوان، ولا وقت ولا زمان، ولا كون ولا مكان، وهو الآن كما كان، هو الواحد بلا وحدانية، وهو الفرد بلا فردانية، ليس مركباً من الاسم والمسمى، هو الأول بلا أولية، وهو الآخر بلا آخرية، وهو الظاهر بلا ظاهرية، وهو الباطن بلا باطنية. أعني: أنّه هو وجود حروف الأول، وهو وجود حروف الآخر، وهو وجود حروف الظاهر، وهو وجود حروف الباطن، فلا أول ولا آخر، ولا ظاهر ولا باطن إلاّ هو، بلا صيران وجود هذه الحروف وجوده، وصيران وجود هذه الأحرف هو. فافهم هذا لئلا تقع في غلط الحلولية.

لا هو في شيء فيه، لا داخلاً ولا خارجاً، ينبغي أن تعرفه بهذه الصفة، لا بالعلم ولا بالعقل، ولا بالفهم ولا بالوهم، ولا بالحس ولا بالعين الظاهرة، ولا بالعين الباطنة ولا بالإدراك، لا يراه إلاّ هو، ولا يدركه إلاّ هو، ولا يعلمه إلاّ هو، يرى نفسه بنفسه، ويعرف نفسه بنفسه، لا يراه أحد غيره، ولا يدركه أحد غيره، حجابه وحدانيته فلا يحجبه شيء غيره، حجابه وجوده، تستر وجوده بوحدانيته بلا كيف، لا يراه أحد غيره ولا يدركه أحد غيره، لا نبي مرسل ولا ولي كامل ولا ملك مقرّب يعرفه، نبيه هو ورسوله هو، ورسالته هو وكلامه هو، أرسل نفسه بنفسه من نفسه إلى نفسه لا واسطة ولا سبب غيره، ولا تفاوت بين المرسِل والمُرسَل، والمرسَل به والمرسل إليه، ووجود حروف الله وجوده، لا غيره ولا فناه، ولا اسمه

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (٢٥٣٠) [٢/ ٢٣٤].

ولا مسماه، ولا وجوده بغيره، فلهذا قال النبي ﷺ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**عرفت ربي بربي**»[١] أشار عليه السلام بذلك أنك لست أنت أنت، بل أنت هو بلا أنت، لا هو داخل فيك، ولا أنت داخل فيه، ولا هو خارج عنك، ولا أنت خارج عنه، ما أعني بذلك: أنك موجود وصفتك هكذا بلا غير له، بل أعني به: أنك ما كنت قط ولا تكون، لا بنفسك ولا به، ولا فيه ولا معه ولا عنه ولا منه ولا له، ولا أنت فانٍ ولا موجود، أنت هو وهو أنت، بلا علة من هذه العلل. فإن عرفت وجودك بهذه الصفة، فقد عرفت الله، وإلاّ فلا. وأكثر العارفين أضافوا معرفة الله إلى فناء الوجود، وفناء الفناء، وذلك غلط محض وسهو واضح، فإنّ معرفة الله تعالى لا تحتاج إلى فناء الوجود، ولا إلى فناء فنائه؛ لأن الأشياء لا وجود لها، وما لا وجود له لا فناء له، فإنّ الفناء بعد إثبات الوجود. فإذا عرفت نفسك بلا وجود ولا فناء، فقد عرفت الله تعالى، وإلاّ فلا.

وفي إضافة معرفة الله تعالى إلى فناء الوجود، وإلى فناء فنائه إثبات للشرك؛ لأنك إذا أضفت معرفة الله تعالى إلى فناء الوجود وفناء الفناء، كان الوجود لغير الله ونقيضه، وهذا شرك واضح؛ لأنّ النبي ﷺ قال: «**من عرف نفسه، فقد عرف ربه**»[٢]، ولم يقل: من أفنى نفسه فقد عرف ربه، فإنّ إثبات الغير يناقض فناءه، وما لا يجوز ثبوته لا يجوز فناءه، ووجودك لا شيء واللاشيء لا يضاف إلى شيء لا فانٍ ولا غير فانٍ، ولا موجود ولا معدوم: أشار عليه السلام إلى أنك معدوم الآن، كما كنت معدوماً قبل التكوين، فالآن ـ لقوله عليه السلام: «**كان الله ولا شيء معه...**»[٣] الحديث ـ الأزل، والآن الأبد، والآن القدم. فالله هو وجود الأزل، ووجود الأبد، ووجود القدم بلا وجود الأزل والأبد والقدم، فإن لم يكن كذلك، ما كان وحده لا شريك له وواجب أن يكون وحده لا شريك له، كان شريكه هو الذي يكون وجوده بذاته لا بوجود الله[٤]، فيكون إذاً رباً ثانياً، وذلك محال، فليس لله شريك ولا ند ولا

---

(١) أورده المناوي في فيض القدير ونسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه [ج٦ ص١٨١] وقال: **فائدة**: سئل الصدّيق بمَ عرفت ربك؟ قال: عرفت ربي بربي. فقيل: هل يمكن بشر أن يدركه؟ فقال: العجز عن درك الإدراك إدراك. وسئل مصباح التوحيد وصباح التفريد علي كرّم الله وجهه بمَ عرفت ربك؟ قال: بما عرّفني به نفسه، لا يدرَك بالحواس ولا يقاس بالناس قريب في بُعده بعيد في قربه.

(٢) هذا الحديث سبقت الإشارة إليه.

(٣) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٠٠٩) [ج٢ ص١١٩].

(٤) وفي نسخة [ومن يكن كذلك لم يكن محتاجاً إليه فيكون إذاً رباً ثانياً].

كفؤ، ومن رأى شيئاً مع الله تعالى، أو من الله، أو في الله، وذلك الشيء يحتاج إلى الله وبالربوبية، فقد جعل ذلك الشيء أيضاً شريكاً محتاجاً إلى الله بالربوبية، ومن جوَّزَ أن يكون مع الله شيء يقوم بنفسه أو يقوم به وهو فانٍ عن وجوده أو من فنائه، فهو بعد بعيد، ما شم رائحة معرفة النفس؛ لأنّ من جوّز أن يكون موجوداً سواه قائماً به وفيه، يصير فانياً، وفناؤه يصير فانياً في فنائه، فيتسلل الفناء بالفناء، وهذا شرك بعد شرك، وليس معرفة للنفس؛ لأنه شركُ لا عارف بالله، ولا بنفسه.

فإن قال قائل: كيف السبيل إلى معرفة النفس ومعرفة الله؟.

فالجواب: سبيل معرفتهما أن تعلم[(١)] أنّ الله عزّ وجل كان ولم يكن معه شيء، وهو الآن كما كان.

فإن قال قائل: أرى نفسي غير الله ولا أرى الله نفسي!.

فالجواب: أراد النبي ﷺ بالنفس: وجودك وحقيقتك، لا النفس المسماة باللوّامة والأمّارة والمطمئنة، بل أشار بالنفس إلى ما سوى الله عزّ وجل جميعاً.

قال عليه السلام: «**اللهم أرني الأشياء كما هي عياناً**». أشار[(٢)] بالأشياء إلى ما سوى الله تعالى. أي عَرِّفني الذي سِواك، لأعلم وأعرف الأشياء، أي شيء هي؟ أهي أنت أم غيرك؟ أم هي قديم أو حادث؟ أو باقٍ أم فانٍ؟ فإن أراه الله ما سواه نفسه بلا وجود ما سواه من الأشياء، فرأى الأشياء كما هي، أعني: رأى الأشياء ذات الله تعالى بلا كيف، ولا أين ولا اسم. واسم الأشياء يقع على النفس وغيرها من الأشياء، فإنّ وجود النفس ووجود الأشياء سيان في الشيئية. فمتى عرف الأشياء، عرف النفس، ومتى عرف النفس، فقد عرف الرب؛ لأنّ الذي يظن أنّه سوى الله، ليس هو سوى الله، بل عين الله سوى الله تعالى، ولكنك لا تعرفه وأنت تراه، ولا تعلم أنك تراه، ومتى كُشف[(٣)] لك هذا السر، علمت أنك لست ما سوى الله تعالى، وعلمت أنك كنت مقصودك ومطلوبك في طلبك ربك، وعرفت أنك لا تحتاج إلى الفناء ولا إلى فناء الفناء، وأنّك لم تزل ولا تزال بلا حين ولا أوان، كما ذكرنا من قبل، وترى جميع صفاتك صفاته، وظاهرك ظاهره، وباطنك باطنه، وأولك أوله، وآخرك آخره، بلا شك ولا ريب حين المعرفة، أما قبلها فلا ترى صفاتك صفاته، وذاتك ذاته بلا صيرورتك إياه، وصيرورته إياك لا بقليل ولا كثير، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾

---

(١) وفي نسخة [أن تعلم وتتحقق].
(٢) وفي نسخة [عبَّر].
(٣) وفي نسخة [يُكشف].

[القَصَص: ٨٨]، بالظاهر والباطن، يعني: لا موجود إلاّ هو، ولا وجود لغيره، فيحتاج إلى الهلاك ويبقى وجهه.

أعني: لا شيء موجود إلاّ وجهه، فكما أن من لم يعرف شيئاً، ثم عرفه، فأفنى وجوده بإفناء جهله، ما أفنى وجوده، بل أفنى جهله، ووجوده باقٍ بحاله من غير تبديل وجوده بوجود آخر، ولا ترك وجود المنكِر بوجود العارف ولا تداخل، بل ارتفع الجهل، فلا تظن أنك تحتاج إلى الفناء، فإن احتجت إلى الفناء، فأنت إذاً حجابه، والحجاب غير الله سبحانه، فيلزم من غلبة غيره عليه بالرفع عن رؤيته له. وهذا غلط وسهو، وقد ذكرنا من قبل أنّ وحدانيته حجابه وفردانيته لا غيره، ولهذا جاز للواصل إليه على الحقيقة أن يقول: «أنا الحق»، وأن يقول: «سبحاني» وما وصل واصل إليه إلاّ ورأى صفاته صفات الله، وذاته ذات الله، بلا صيران[(١)] صفاته ولا ذاته، داخلاً في الله ولا خارجاً منه قط، ولا أنّه فان في الله أو ولا باقٍ في الله، ويرى نفسه أنّه لم يكن قط، ولا أنّه كان، ثم فُني، فإنّه لا نفس إلاّ نفسه، ولا وجود إلاّ وجوده، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقول: «**لا تسبُوا الدهر، فإن الله هو الدهر**»[(٢)]، إشارة إلى أنّ وجود الدهر وجود الله ونزَّه الله تبارك وتعالى عن الشريك والند والكفؤ. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**قال تعالى: يا عبدي**[(٣)]**! مرضت فلم تعدني، وسألتك فلم تعطني**»، وإلى غير ذلك، إشارة إلى أنّ وجود السائل وجوده، ووجود المريض وجوده، فمتى جاز أن يكون وجود السائل وجوده، ووجود المريض وجوده، جاز أن

---

(١) وفي نسخة [بلا كون].

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، ذكر الأخبار عن السبب الذي من أجله..، رقم (٥٧١٤) [ج١٣ ص٢٢]، ولفظه: قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله: يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار**».

(٣) وفي نسخة [يا ابن آدم. والحديث رواه مسلم في صحيحه، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن..، رقم (٢٥٦٩) [ج٤ ص١٩٩٠] وابن حبان في صحيحه، باب ذكر الخبر الدال...، حديث رقم (٢٦٩) [ج١ ص٥٠٣] ورواه غيرهما.

ونص رواية مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا بن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي**».

يكون وجودك وجوده، ووجود جميع الأشياء من المكونات ـ من الأعراض والجواهر ـ وجوده، ومتى ظهر سر ذرة من الذرات، ظهر سر جميع المكونات الظاهرة والباطنة، ولا ترى الذرات سوى الله تعالى، بل وجود الذرات اسمها ومسماها، ووجودها كلها هو بلا شك ولا ريب، ولا ترى أنّ الله سبحانه خلق الأشياء قط، بل ترى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩] من إظهار وجوده وإخفائه بلا كيفية؛ لأنّه ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾ [الحَديد: ٣]. ظهر بوحدانيته، وبطن بفردانيته، وهو الأول بذاته وقيوميته، وهو الآخر بديموميته، وجود حروف الأول هو، ووجود حروف الآخر هو، ووجود حروف الظاهر هو، ووجود حروف الباطن هو، هو اسمه وهو مسماه، وكما يجب وجوده، يجب عدم ما سواه، فإنّ الذي يظن أنّه سواه، ليس سواه؛ لأنه مُنزّه عن أن يكون غيره، بل غيره هو، هو بلا غيرية الغير مع وجوده في وجوده ظاهراً أو باطناً، ولمن اتصف بهذه الصفة أوصاف كثيرة لا حدّ ولا نهاية لها، فكما أنّ من مات بصورته، وانقطعت جميع أوصافه عنها المحمودة والمذمومة، كذلك من مات بالموتة المعنوية، ينقطع عنه جميع أوصافه المحمودة والمذمومة، ويقوم الله تعالى مقامه في جميع الحالات، ويقوم مقام ذاته ذات الله تعالى، ومقام صفاته صفات الله تعالى، ولذلك قال النبي ﷺ: **«موتوا قبل أن تموتوا»**[1]، أي اعرفوا أنفسكم قبل أن تموتوا. وقال ﷺ: **«لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه وبصره ويده ورجله»**[2] إلى آخره، فأشار إلى أن من عرف نفسه، يرى جميع وجوده سبحانه وجودَه، ولا يرى تغيّراً في ذاته ولا في صفاته، ولا يحتاج إلى تغير صفاته، إذ لم يكن هو موجوداً بذاته، بل كان جاهلاً بمعرفة نفسه، فمتى عرفت نفسك، ارتفعت أنانيتك، وعرفت أنّك لم تكن غير الله سبحانه، فإن كان لك وجود مستقل، لا تحتاج إلى الفناء ولا إلى معرفة النفس، فتكون رباً سواه، تعالى الله أن يوجد رباً سواه، ففائدة معرفة النفس: أن تعلم وتتحقق أنّ وجودك ليس بموجود ولا معدوم، وأنك لست كائناً، ولا كنت ولا تكون قط، ويظهر بذلك معنى قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصَّافات: ٣٥] إذ لا إله غيره، ولا وجود لغيره، ولا غير موجود سواه، ولا إله إلاّ إيّاه. فإن قال قائل: عطلت ربوبيته، فالجواب: لم أعطل ربوبيته لأنه لم يزل رباً ولا مربوب، ولم يزل خالقاً ولا مخلوق، وهو الآن كما كان،

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٦٦٩) [ج٢ ص٣٨٤].

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

أترى خالقيته وربوبيته لا تحتاج إلى مخلوق ولا إلى مربوب، ولم يزل خالق عن خالقيته، ولا مخلوق عن مخلوقيته، بل لله الحكمة البالغة، فيفعل ما يشاء بقدرته، ويحكم ما يريد بحكمه، فهو قبل تكوين المكونات، كان موصوفاً بجميع أوصافه، وهو الآن كما كان، فلا تفاوت بين الحدوث وبين القدم، فالحدوث مقتضى ظاهريته، والقدم مقتضى باطنيته، ظاهره باطنه، وباطنه ظاهره، أوله آخره، وآخره أوله، والجميع واحد، والواحد جميع، كانت صفته ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩]، وما كان شيء معه سواه، وهو الآن كما كان، ولا وجود سواه بالحقيقة، كما كان في الأزل وفي القدم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩]، ولا يوم ولا شأن، كما لو لم يكن في القدم لا شأن ولا يوم، ولا شيء موجود فهو الآن كما كان، فوجود الموجودات وعدمها سيان، وإلاّ لزم طريان طرأ في وحدانيته، وذلك نقص، وجلّت وحدانيته عن ذلك. فمتى عرفت نفسك بهذه الصفة من غير إضافة ضد أو ند وكفؤ وشريك إلى الله تعالى، فقد عرفتها بالحقيقة. ولذلك قال ﷺ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»[1]، ولم يقل من أفنى نفسه فقد عرف ربه فإنّه عليه الصلاة والسلام عَلِمَ ورأى أن لا شيء سواه، ثم أشار إلى أن معرفة النفس هي معرفة الله تعالى، أي اعرف نفسك، أي وجودك أنك لست أنت، ولكنك لا تعرف، أي اعرف أن وجودك ليس بوجودك، ولا غير وجودك، فلست بموجود ولا بمعدوم، ولا غير موجود ولا غير معدوم، وجودك وعدمك وجوده بلا وجود ولا عدم؛ لأنّ عين وجودك وعدمك وجوده؛ ولأن عين وجوده عين وجودك وعدمك، فإن رأيت الأشياء بلا رؤية شيء آخر مع الله وفي الله إنما هو، فقد عرفت نفسك، فإن معرفة النفس بهذه الصفة، هي معرفة الله بلا شك ولا ريب، ولا تركيب شيء من الحدوث مع القِدَم وفيه وبه. فإن سأل سائل: كيف السبيل إلى وصاله؟ فأنت تقول: لا غيرٌ سواه، والشيء الواحد لا يصل إلى نفسه.

فالجواب: لا يُشك أنّه في الحقيقة لا وصل ولا فصل، ولا بُعد ولا قرب؛ لأنّه لا يكن الوصال إلاّ بين الاثنين، فإن لم يكن إلاّ واحد، فلا وصل ولا فصل، فإنّ الواصل يحتاج إلى شيئين متساويين أو غير متساويين، فإن كانا متساويين فهما شيئان، وإن كانا غير متساويين فهما ضدان، وهو تعالى منزّه عن أن يكون له ضد أو ند أو شبيه، فالوصال في غير الوصال، والقرب في غير القرب، والبُعد في غير البُعد، فيكون وصل بلا وصل، وقرب بلا قرب، وبُعد بلا بُعد.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

فإن قيل: فهمنا الوصل بلا وصل، فما معنى القرب بلا قرب؟ والبُعد بلا بُعد؟ فالجواب: أنّك في أوان القرب والبعد أنك لم تكن شيئاً سوى الله، ولكنك لم تكن عارفاً بنفسك، ولم تعلم أنك هو بلا أنت، فمتى وصلت إلى الله تعالى، أي عرفت نفسك بلا وجود حروف العرفان، علمت أنك كنت إياه، وما كنت تعرف قبل أنّك هو، أو غير هو، فإذا حصل لك العرفان، علمت أنّك عرفت الله بالله لا بنفسك، مثال ذلك: هب بمعنى أنك لا تعرف بأن اسمك (محمود)، أو مسماك (محمود)، فإنّ الاسم والمسمى في الحقيقة واحد، وتظن أن اسمك (محمد) وبعد حين عرفت أنك (محمود)، فوجودك باق، واسم (محمود) ومسمى (محمد) ارتفع عنك بمعرفتك نفسك أنك (محمود)، ولم تكن (محموداً) إلاّ بفنائك لاسم (محمد)، وهي نفس وجودك؛ لأنّ الفناء يكون بعد إثبات وجودك، فإن إثباتك وجودك مع وجوده شرك بالله سبحانه وتعالى، فما نقص بهذا المثال (لمحمود) شيء، ولا (محمد) فُني في (محمود) ولا دخل (محمود) في (محمد)، ولا خرج منه، ولا حل محمود في محمد فبعدما عرف (محمود) نفسه أنّه (محمود) لا (محمد)، فقد عرف نفسه بنفسه لا (بمحمد)، فإن (محمداً) لم يكن أصلاً، بل هو (محمود) على أصله «**كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان**»[1]، فكيف يعرف به شيئاً كائناً فإذا العارف والمعروف واحد، والواصل والموصول واحد، والرائي والمرئي واحد، والمحب والمحبوب واحد، والعارف صفته، والمعروف ذاته، والواصف والموصوف ذاته، والصفة والموصوف واحد. هذا بيان «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»[2]، فمن فهم هذا المثال، علم أنّه لا وصل ولا فصل، وعلم أنّ العارف هو المعروف، والرائي هو المرئي، والواصل هو الموصول، وما وصل إليه غيره، وما انفصل عنه غيره، فمن فهم ذلك خلص عن الشرك، وإلاّ لا يجد رائحة الخلاص عن الشرك، وأكثر العارفين الذين ظنوا أنهم عرفوا أنفسهم وعرفوا ربهم، وأنهم خلصوا من علقة[3] الوجود، قالوا إنّ الطريق لا يتيسّر إلاّ بالفناء وبفناء الفناء، وذلك لعدم فهمهم قول النبي ﷺ؛ ولظنهم أنهم يمحون الشرك بإشاراتهم طوراً إلى نفي الوجود. أي فناء الوجود، وطوراً إلى فناء الفناء، وطوراً إلى محق المحق[4]، وطوراً إلى الاصطلام، فهذه الإشارات كلها شرك محض، فإنّ من جوّز أن يكون شيء سواه، فيفنى بعد وجود

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٢) هذا الحديث سبقت الإشارة إليه.

(٣) وفي نسخة [غفلة].

(٤) وفي نسخة [محو المحو].

فنائه[١]، فقد أثبت شيئاً ما سواه، ومن أثبت شيئاً ما سواه، فقد أشرك بالله تعالى. أرشدهم الله وإيانا إلى سواء السبيل، بمنّه وكرمه ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

قلت:

ظـنـنـت ظـنـونـاً بـأنـك أنـتَ ... ومـا أن تـكـون ولا قـطُّ كـنـتَ
فـإنْ أنـت أنـت فـإنـك ربٌّ ... وثـانـي اثـنـيـن دع مـا ظـنـنـتَ
فـلا فـرق بـيـن وجـوديـكـمـا ... فـمـا بـان عـنـك ولا عـنـه بـنـتَ
فـإن قـلـت جـهـلاً بـأنـك غـيـرٌ ... خشنـت وإن زال جـهـلـك لـنـتَ[٢]
فـوصـلـك هـجـر وهـجـرك وصـل ... وبـعـدك قـربٌ بـهـذا حَـسُـنـتَ
دع الـعـقـل وافـهـم بـنـور انـكـشـاف ... لـئـلا يـفـوتـك مـا عـنـه صـنـتَ
ولا تـشـرك مـع الله شـيـئـاً ... لـئـلا تـهـون وبـالـشـرك هـنـتَ

فإن قال قائل: أنت تشير إلى أنّ عرفانك نفسك هو عرفان الله تعالى، والعارف بنفسه غير الله، وغير الله كيف يعرف الله؟ ومن لم يعرف الله كيف يصل إليه؟ فالجواب: من عرف نفسه علم أنّ وجوده ليس بوجوده، ولا غير وجوده، بل وجوده وجود الله بلا صيرورة وجوده وجود الله تعالى، وبلا دخول وجوده في وجود الله سبحانه، ولا خروج وجوده منه، ولا كون وجوده معه وفيه، بل يرى وجوده - لا محالة - كان قبل أن يكون بلا فناء الوجود، ولا فناء الفناء، فإنّ فناء الشيء يقتضي ثبوته أولاً، وثبوت الشيء بنفسه يقتضي كينونيته بنفسه، لا بقدرة الله تعالى، وهذا محال صريح واضح، فتبيّن أنّ عرفان العارف بنفسه هو عرفان الله سبحانه وتعالى نفسه؛ لأنّ نفسه ليس إلاّ هو. وعنى رسول الله ﷺ بالنفس الوجود، فمن وصل إلى هذا المقام لم يكن وجوده في الظاهر والباطن وجوده، بل وجود الله تعالى، وكلامه كلام الله، وفعله فعل الله، ودعواه معرفة الله، هو دعواه معرفة نفسه، ودعواه معرفة نفسه، هو دعواه معرفة الله[٣]، ولكنك تسمع الدعوى منه، وترى الفعل منه، وترى[٤] وجوده غير وجود الله، كما ترى نفسك غير الله، لجهلك بمعرفة نفسك، فإنّ

(١) وفي نسخة [ويفنى بعده وجوّز فناء فنائه].
(٢) وفي نسخة [كنت].
(٣) وفي نسخة [معرفة الله نفسه بنفسه].
(٤) وفي نسخة [وترى غير الله].

المؤمن مرآة المؤمن، فهو هو بعينه، أي بنظره، فإن عينه عين الله، أي نظره نظر الله بلا كيفية، لا هو هو بعينك أو علمك أو فهمك أو وهمك أو ظنك أو رؤيتك، بل هو هو بعينه وعلمه ورؤيته.

فإن قال قائل: أنا الله، فاسمع منه لا من الغير، فإنّ الله جلّت قدرته يقول لنفسه بنفسه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤] ولكنك ما وصلت إلى ما وصل إليه، فإن وصلت إلى ما وصل إليه، فهمت ما يقول، وقلت ما يقول، ورأيت ما يرى. وعلى الجملة: وجود الأشياء وجوده بلا وجودهم، فلا تقعن في الشبهة، ولا تتوهمن بهذه الإشارات أنّ الله تعالى مخلوق، فإنّ بعض العارفين قال: «الصوفي غير مخلوق»، وذلك بعد الكشف التام وزوال الشكوك والأوهام، وهذه اللقمة[1] لمن كان له حلق أوسع من الكونين، فأما من كان حلقه كالكونين فلا توافقه، فإنها أعظم من الكونين. وعلى الجملة: فاعلم أنّ الرائي والمرئي، والواجد والموجود، والعارف والمعروف، والموجِد والموجَد، والمدرِك والمدرَك واحد يرى وجوده بوجوده، ويعرف وجوده بوجوده ويدرك وجوده بوجوده، بلا كيفية إدراك ورؤية ومعرفة، وبلا وجود حروف صورة الإدراك والرؤية والمعرفة، كما أنّ وجوده بلا كيفية، ومعرفة نفسه بلا كيفية، وإدراك نفسه بلا كيفية، فرؤيته نفسه بلا كيفية.

فإنْ سأل سائل وقال: بأي نظر ننظر إلى المحبوبات والمكروهات فإذا رأينا مثلاً (روثاً) أو (جيفة) فنقول هو الله؟!! فالجواب: تعالى وتقدّس حاشا ثم حاشا أن يكون شيئاً من هذه الأشياء، وكلامنا مع من لا يرى الجيفة جيفة، والروث روثاً، بل كلامنا مع من له بصيرة، وليس بأكمه، فإن من لم يعرف نفسه، فهو أكمه وأعمى، وقبل ذهاب الأكمهية والعمى، لا يصل إلى هذه المعاني، وهذه المخاطبة مع الله، لا مع غيره، ولا مع الأكمه، فإن الواصل إلى هذا المقام يعلم أنّه ليس غير الله، وخطابنا مع من له عزيمة وهمة في طلب العرفان، وفي طلب معرفة النفس لمعرفة الله، وتطرأ في قلبه صورة الطالب[2] والاشتياق إلى[3] الله تعالى لا مع من لا قصد ولا مقصد له.

---

(١) وفي نسخة [وهذه اللقم].
(٢) وفي نسخة [الطلب].
(٣) وفي نسخة [الوصول].

فإن سأل سائل وقال: الله تعالى لا تدركه الأبصار وأنت تقول بخلافه، فما حقيقة ما تقول؟ فالجواب عن ذلك: جميع ما قلنا هو معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي ليس أحد[1]، ولا بصر معه[2] يدركه، فلو جاز أن يكون في الوجود غيره، لجاز أن يدركه غيره. وقد نبهنا الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] إلى أنّه ليس غيره سواه، يعني: لا يدركه غيره، بل يدركه هو وهو الله فلا غير إلاّ هو، فهو المدرِك لذاته بذاته لا غير، فلا تدركه الأبصار، إذ لا أبصار إلاّ وجوده. ومَن قال: إنها لا تدركه الأبصار؛ لأنها محدثة، والمحدث لا يدرك القديم الباقي فهو بعد بعيد، لا يعرف نفسه إذ لا شيء ولا أبصار إلا هو، فهو يدرك وجوده بلا وجود الإدراك، وبلا كيفية لا غيره ولهذا قلت:

عـــرفـــت الـــرّبَ بـــالـــرَب	بـــــلا شـــــكٍ ولا ريـــــبِ
فـــذاتـــي ذاتـــهُ حـــقـــاً	بـــلا نـــقـــصٍ ولا عـــيـــبِ
ولا غـــيـــران بـــيـــنـــهـــمـــا	فـــنـــفـــسي مـــظـــهـــر الـــغـــيـــبِ
ومـــن عـــرَّفـــتـــه نـــفـــسـي	فـــلا مـــزجِ ولا شَـــوبِ
وصـــلـــتُ وصـــول مـــحـــبـــوبِ	بـــلا بـــعـــدٍ ولا قُـــربِ
ونـــلـــت عـــطـــاء ذي قـــدم	بـــلا مـــنٍّ ولا ســـبـــبِ[3]
ولا فُـــنـــيـــت لـــه نـــفـــسـي	ولا تـــبـــقـــى لـــذوي[4] ذوبِ
ولـــكـــن قـــد تـــعـــرّت مـــنـــك	عـــن عـــبـــد وعـــن ربِ

فإن سأل سائل وقال أنت تثبت الله تعالى، وتنفي كل شيء، فما هذه الأشياء التي نراها؟

فالجواب: هذه المقامات مع مَن لا يرى سوى الله شيئاً، ومَن يرى شيئاً سوى الله، فليس لنا معه جواب ولا سؤال، فإنّه لا يرى غير ما يرى، ومَن عرف نفسه، لا يرى غير الله، ومَن لم يعرفها، لا يرى الله سبحانه؛ وكل إناء بالذي فيه يرشح. فقد

---

(١) وفي نسخة [في الوجود].
(٢) وفي نسخة [مع أحد].
(٣) وفي نسخة [سلب].
(٤) وفي نسخة [له].

شرحنا كثيراً مثل هذا الكلام من قبل، وإن شرحنا أكثر من ذلك، فمن لا يرى، لا يرى ولا يفهم ولا يدرك، ومن يرى، يرى ويفهم ويدرك، والواصل تكفيه الإشارة، وغير الواصل لا يفهم[١] لا بالتعليم، ولا بالتدبير، ولا بالتقدير[٢]، ولا بالعبارة، ولا بالعقل، ولا بالعلم، الذي هو تحصيل الحاصل، إلاّ بخدمة شيخ كامل واصل، وأستاذ حاذق سالك فاضل ليهتدي بنوره، ويسلكه بهمته، ويصل به إلى مقصوده إن شاء الله تعالى، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه من القول والفعل والعلم والعمل والنور والهدى، إنّه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه المحبين وسلّم تسليماً كثيراً.

في بيان الطريق وبيان السالك والمسلوك إليه، وبيان علاماتها ابتداؤها السلوك وانتهاؤها الأول في انتهاء السلوك، وابتداؤها الآخر فإن لم تفهم هذه الإشارة ما شممت رائحة التوحيد وأصل المقصود وجود الدائرة المدورة لا خارجها ولا داخلها ابتداء الدائرة انتهاؤها وانتهاؤها ابتداؤها والدائرة طريق السير في الوجود في معرفة النفس. الوجود هو المنزل سعة تبتدي الطريق ولكنه لا يعرف ولا يعلم ويرى وجوده غير الله فمتى وصل نفسه أي وجوده بلا شك ولا ارتياب فتبين له سعة أنه كان واصلاً في الابتداء أو موصولاً ولكنه لا يعرف الوصول ولذلك قال النبي ﷺ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»[٣] والنبي ﷺ عرف في الابتداء وسلك الطريق بالمعرفة ولهذا ابتداؤها انتهاء الصديقين وانتهاء الصديقين ابتداؤه ﷺ لأنهم عرفوا الأسرار في الانتهاء وشتان بين من تقدم في الابتداء ومن تقدم في الانتهاء فابتداء العشق وجود المقصود، وشوق إرادة المقصود، العشق. العشق هو والعشق أنت، ابتداء العشق الشوق وانتهاء العشق فافهم ذلك ليس في المقام مقام أعلا وأجل في الابتداء من العشق لأن جميع ما ذكرناه وجود العشق واسم العشق وصورة العشق ومعناه العشق ومقصود العشق، والدايرة وجميع ما داخلها وخارجها العشق، أعني العشق المعرى من العشق واسمه فافهم الشوق وجوده واسمه ليس بمحدث ولا بقديم بل هو هو بلا حدثان وقدم الشوق يصير في الابتداء عشقاً، وصاحب الشوق متى وصل إلى الانتهاء يرى شوقه

---

(١) وفي نسخة [يصل].   (٢) وفي نسخة [بالتقرير].

(٣) هذا الحديث سبقت الإشارة إليه.

عشقاً ويعرف أن شوقه كان وجود العشق، ولكنه لم يعرفه، ويرى جميع المكونات وجود العشق والمعشوق والعاشق، ولا يرى بينه وبين جميع المخلوقات تفاوتاً، ويرى جميع المخلوقات وجوده، ولا يرجح نفسه بالوصل على من لم يشم رائحة الوصول قط، ولا فرق بينه وبين الحيوانات والجمادات وبين الشيء وضده، وهذه صفة من يكون وجوده الموصول، لا صفة الواصل والوصال والوصل، ولا صفة العاشق والعشق بل صفة المعشوق، لأن التفاوت بين هذه الأشياء يكون في نظر من ليس له نظر بعد، وأما من له نظر فلا تفاوت بينهما بل الجميع سواء عند الله والله أعلم بالصواب.

تمت الرسالة الوجودية بعون الله تعالى ومنّه وكرمه ولطفه
وبالله التوفيق والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.